

## تعريف (إعجاز القرآن):

(إعجاز القرآن) مركب إضافي من كلمتين: إعجاز والقرآن.

وكلمة (إعجاز) - في اللغة - مصدر الفعل (أعجز) وهذا اللفظ يأتي في اللغة بعدة معانٍ: منها: الفوت والسبق، تقول: أعجزه الشيء، أي: فاتته، وذلك كقوله تعالى: [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ] {فاطر: ٤٤}، "أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائناً ما كان فيهما"<sup>(١)</sup>.

ومنها: التضعيف والتوهين، أي: إضعاف الخصم سواء في الأقوال أو الأفعال، وذلك كقوله تعالى على لسان قاييل: [أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي] {المائدة: ٣١}، أي: أضعفت أن أستر جثة أخي<sup>(٢)</sup>.

ومنها: التثبيط والنسبة إلى العجز، تقول: عَجَزَهُ تعجيزاً إذا ثبطه أو نسبه إلى العجز، وذلك كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ] {الحج: ٥١}، أي: "ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج"<sup>(٣)</sup> (قلت): بمعنى، أنهم نسبوا إليه سبحانه العجز في بعثهم وحسابهم وعذابهم يوم القيامة.

وأما الإعجاز في الاصطلاح فهو إعجاز الخصوم عن معارضة الأنبياء في معجزاتهم التي أظهرها الله على أيديهم.

وعليه يكون تعريف (إعجاز القرآن)، سبقه الخصوم؛ لـ"كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس له"<sup>(٤)</sup>، فقد أعجز الإنس والجن عن أن يأتوا ولو بمثل سورة قصيرة من سوره، وقد تصدى البعض لذلك - كمسيلم الكذاب - ففشلوا فشلاً ذريعاً.

هناك مصطلح آخر يؤدي المعنى نفسه الذي يؤديه مصطلح (إعجاز القرآن)، هذا المصطلح هو (معجزة القرآن)

والمعجزة لغة: اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أعجزت الخصم، أو: أعجز بها الخصم عند التحدي، والتاء المربوطة للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلهما، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله ولم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح القدير، للشوكاني ٣٥٦/٤ .

(٢) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني ٣٣٩/١ .

(٣) فتح القدير، للشوكاني ٤٦٠/٣ .

(٤) فكرة إعجاز القرآن، ص/٩ .

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور ٩٧/٦، ٩٨، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٨٠/٢، ٨١، ومختار الصحاح للرازي ص/٤١٣، ٤١٤، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/٧٣٨، ٧٣٩.

والمعجزة اصطلاحاً: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة"<sup>(٦)</sup>.  
وعليه فالمقصود بـ"معجزة القرآن" أن القرآن الكريم أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

وهذا المعنى لا يختلف عن معنى (إعجاز القرآن).

**الهدف من (إعجاز القرآن):**

قال مناع القطان: "المراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم"<sup>(٧)</sup>.

(٢)

**بواعث الكلام في إعجاز القرآن:**

بعد اتساع الدولة الإسلامية، واختلاط العرب بالعجم، ودخل كثير من العجم في الإسلام، وبعضهم دخل نفاقاً في الظاهر ولم يدخل في الإيمان حقيقة، هؤلاء وغيرهم من أعداء الإسلام ومن المبطلين والملحدين والزنادقة صاروا يكيلون التهم للقرآن الكريم، ووجهوا سهامهم إليه، وللحق فإن هذه الأباطيل بدأت مع نزول القرآن؛ فاتهموه بأنه سحر، وأنه شعر، وأنه أساطير الأولين، وأنه قول بشر وليس من عند الله، وتطورت هذه التهم إلى:

- القول بأن القرآن ليس معجزاً، وقد جرهم إلى نفي إعجاز القرآن الكريم القول بأنه مخلوق، وساعدهم على ترويح هذا الكذب جو الحرية الذي ساد في العصر العباسي، مما اضطر المدافعون عن كتاب الله، أن يواجهوا الباطل بما يدحضه؛ فبدأ الحديث عن الإعجاز.

(٣)

**نبذة عن تاريخ الإعجاز:**

إن لفظي الإعجاز والمعجزة بمعناهما الاصطلاحي لم يستعملا في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين، بدليل خلو القرآن الكريم والسنة النبوية منهما، وإنما الذي ذكر في القرآن مصطلح آية، وبرهان، وسلطان، يدلنا على ذلك قوله تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] {الإسراء: ١٠١} أي: تسع معجزات<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ] {النساء: ١٧٤} "قالبرهان هو: القرآن دليل محمد ﷺ وحجته"<sup>(٩)</sup> على الناس ومعجزته، وكذلك قوله

(٦) الإتيان في علوم القرآن ٥/٤.

(٧) مباحث في علوم القرآن، ص/٢٦٥.

(٨) انظر: فتح القدير، للشوكاني ٣/٢٦٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٥/٦٦٢.

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل، للكليبي ١/١٦٥.

تعالى: [وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ] {الذاريات: ٣٨}، "أي بحجة بيينة، وهي العصا، وقيل: أي بالمعجزات من العصا وغيرها"<sup>(١٠)</sup>.

وذهب الحمصي إلى أنه يصعب تحديد الزمن الذي استخدم فيه مصطلح الإعجاز والمعجزة بدقة، وقد ذكر أن أول كتاب ألف باسم (إعجاز القرآن) هو كتاب محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ)<sup>(١١)</sup>، وقد وردت فيه كلمة معجزة<sup>(١٢)</sup>.

وقال الدكتور فضل عباس: "يغلب علي ظننا أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده من اللغة"<sup>(١٣)</sup>.

ويترجح لي أن بداية تاريخ استخدام لفظي إعجاز ومعجزة والحديث المفصل عنهما كان في القرن الثالث الهجري، والله أعلم.

وسنتحدث باختصار وإيجاز عن المسيرة التاريخية العلمية التي مر به إعجاز القرآن عبر القرون، منذ القرن الأول الهجري وإلى العصر الحاضر.

### القرن الأول والثاني الهجريين:

في هذين القرنين الهجريين المباركين كان الحديث عن إعجاز القرآن من خلال الحديث عن معجزته، وذلك باستخدام مصطلح آية أو برهان أو سلطان، أي: عجز الإنس والجن وإن اجتمعوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، أو عشر سور منه، أو سورة ولو قصيرة منه.

وترجع قناعتهم تلك إلى إيمانهم الجازم أن القرآن من عند الله وهو آية الله لرسوله ﷺ لا يستطيع أن يعارضه أحد، وقد رأوا عجز المشركين المطبق في ذلك واقعاً ملموساً.

وبالرجوع إلى الكتب التي ألفت في هذين القرنين نجد عدم خوض العلماء وتناولهم مسألة الإعجاز بالبحث والتفصيل في وجوه الإعجاز وما يتعلق به، وكأن لسان حالهم الاكتفاء بأن القرآن لا يستطيع أن يعارضه أحد.

غير أننا وجدنا إشارات وتلميحات غير مباشرة عن الإعجاز في كتب معاني القرآن - وهي من أقدم ما ألف عن القرآن - "ومن أوائلها كتابان اثنان، أحدهما: مجاز القرآن لأبي عبيدة، والثاني: معاني القرآن للفراء.. [وفيهما] نجد البذور الأولى التي تحدثت عن أسلوب القرآن ونظمه

(١٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤٥/٩ .

(١١) ت : هذا الحرف رمزٌ مختصر لتاريخ الوفاة .

(١٢) انظر : فكرة إعجاز القرآن ، ص / ٨٥٧ .

(١٣) إعجاز القرآن الكريم ، ص ٢٨ .

وبخاصة (مجاز القرآن) فهناك حديث عن: التشبيه، والكناية، والإشارة، والتأكيد، إلى غير ذلك مما كان الأساس الذي بني عليه العلماء اللاحقون كثيراً من قضايا الإعجاز<sup>(١٤)</sup>.

### القرن الثالث الهجري :

في هذا القرن بدأ الحديث عن إعجاز القرآن مباشرة ، وفيه ظهر مصطلح إعجاز ومعجزة ، وفيه ظهر كثير من الإشارات واللمحات إضافة إلى تفصيلات في قضايا الإعجاز، وفيه أقبل علماء في اللغة والأدب والبلاغة والتفسير وعلم الكلام - الذي اشتهر في هذا القرن - على البحث في إعجاز القرآن، كلٌ من وجه نظره، وحسب تخصصه العلمي، وتوجهه الفكري.

"وفي هذا العصر ظهرت أكثر النظريات الرئيسية في الإعجاز، صدرت عن أحرار الفكر والمعتزلة والمتكلمين، وكثر الكلام في الدين والنبوة، وبحث في الإعجاز على أنه فرع لهما"<sup>(١٥)</sup>. ومن أشهر المعتزلة<sup>(١٦)</sup> الذين تكلموا في الإعجاز أبو إسحاق إبراهيم النظام (ت ٢٤٨هـ)، وقد أثبت إعجاز القرآن من الوجه الغيبي، أي بما تضمنه من أخبار غيبية، لا من حيث الوجه البياني، وأيضاً قال بالصرفة<sup>(١٧)</sup> وقد رد عليه العلماء في المسألتين.

وقد تناول الأدباء إعجاز القرآن من الوجه البياني؛ فأبرزوا إعجاز القرآن البلاغي وجماله الفني، ومن أشهرهم الجاحظ المعتزلي (ت ٢٥٥هـ)، وهو تلميذ النظام، وقد أثبت الإعجاز البياني للقرآن مخالفاً لشيخه، ورد عليه بالقول بالصرفة، وقد ألف كتاب (نظم القرآن) تحدث فيه عن إعجاز القرآن من جهة النظم والأسلوب، ووردت بعض أرائه في كتابيه (البيان والتبيين، والحيوان).

### القرن الرابع الهجري:

في هذا القرن ازداد الحديث والتأليف في إعجاز القرآن كما وكيفاً، حيث البحث في مسائل مختلفة من الإعجاز، كشروط المعجزة ، والمقارنة بين المعجزات، وتعدد وجوه الإعجاز، والتفصيل الدقيق عن الإعجاز البياني... الخ.

فالحق هذا قرن العصر الذهبي لإعجاز القرآن، حيث تبلورت أفكاره، واتضح مسائله، وتحدت كثير من تفرعاته، وعليه اعتمد العلماء فيما بعد، ومن أشهر من تكلموا فيه:

- المتكلم محمد بن يزيد الواسطي (ت ٣٠٦هـ) في كتابه: (إعجاز القرآن)
- والمفسر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

(١٤) إعجاز القرآن ، د. فضل عباس ، ص / ٣٨، ٣٧ .

(١٥) فكرة إعجاز القرآن ، للحمصي ، ص / ٥٠ .

(١٦) ظهرت فرقة المعتزلة في القرن الثالث الهجري .

(١٧) الصرفة : معناها أن الله صرف العرب عن الإتيان بمثل القرآن مع قدرتهم على ذلك .

- والأديب المعتزلي علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن)
- والأديب اللغوي الفقيه المحدث أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في رسالته (بيان إعجاز القرآن)
- والقاضي المتكلم الأشعري محمد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه: (إعجاز القرآن).  
وإذا كانت رسالتا الرماني والخطابي الأساس لما كتب في الإعجاز فيما بعد، فإن كتاب الباقلاني هو أشهر كتاب في إعجاز القرآن، وقد ظل المرجع الأساس لهذا العلم فيما بعد، وقد تحدث فيه عن وجوه الإعجاز وغيرها خاصة نظمه البديع .

### القرن الخامس الهجري:

- استمرت مسيرة الإعجاز التاريخية في هذا القرن وما بعده ناسجة على منوال السابقين، توضح وتشرح وتبتكر وتؤلف فيه بأقلام علماء الكلام ، والتفسير ، والأدب ... الخ .
- قال الحمصي: "يمتاز هذا العصر بوفرة المتكلمين والمؤلفين في مسألة الإعجاز، ويعد بحق عصرها الذهبي..."<sup>(١٨)</sup>، ومن أشهر علماء الإعجاز في هذا القرن:
- المتكلم الفقيه ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) في كتابه (الفصل في الملل والنحل) وتحدث فيه عن بعض مسائل ووجوه الإعجاز، وانتقد ورجح وذكر رأيه
- وابن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، وقد ذكر آراءه في الإعجاز في كتابه (سر الفصاحة)
- وعبد القاهر الجرجاني، والمتكلم اللغوي الأديب الأشعري (ت ٤٧١هـ) في كتابيه (الرسالة الشافية) و(دلائل الإعجاز) وقد ضمنه نظريته في الإعجاز، وهو من أبرع الذين كتبوا في هذا العلم .

### القرن السادس الهجري:

- ومن أشهر علماء هذا القرن في الإعجاز:
- أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه (إحياء علوم الدين)
- والقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في كتابه (الشفاء)
- والزمخشري جار الله المعتزلي المفسر اللغوي الأديب (ت ٥٣٨هـ) والذي أفاد من نظرية الإعجاز عن عبد القاهر الجرجاني وأنزلها واقعاً عملياً من خلال تفسيره (الكشاف)
- وابن عطية الأندلسي المفسر (ت ٥٤٢هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز في علم التفسير)
- وابن رشد الأندلسي الفيلسوف (ت ٥٩٥هـ) في كتابه (فصل المقال) .

## القرن السابع الهجري:

ومن أشهر علماء هذا القرن في الإعجاز:

- الفخر الرازي المفسر المتكلم (ت ٦٠٦ هـ) وقد اختصر كتابي الجرجاني وقدم نظريته بأسلوب جديد وشكل واضح وألف كتب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) و(معالم أصول الدين) و(محصل أفكار المتقدمين)
- والسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه (مفتاح العلوم)
- وحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) في كتابه (منهاج البلغاء) .

## القرن الثامن الهجري:

ومن أشهر علماء الإعجاز في هذا العصر:

- الزملكاني (ت ٧٢٧ هـ) في كتابه (التبيان في إعجاز القرآن)
- وابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) في كتابه (جواب أهل العلم والإيمان)
- وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) في كتابه (الفوائد المشوق إلي علم القرآن وعلم البيان)
- وابن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ) في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل)
- والأصبهاني (ت ٧٤٩ هـ) في تفسيره (مفردات غريب القرآن)
- وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في تفسيره (تفسير القرآن العظيم)
- والزرکشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) .

## القرن التاسع الهجري:

من أشهر علماء الإعجاز في هذا القرن:

- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في مقدمته المشهورة
- والفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) في كتابه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)
- والمراكشي (ت في القرن التاسع) في كتابه (شرح المصباح) .

## القرن العاشر الهجري:

من أشهر علماء الإعجاز في هذا القرن:

- معين الدين ابن صفى الدين (ت ٩٠٥ هـ) في تفسيره الموجز كتفسير الجلالين
- والسيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)
- وأبو السعود (ت ٩٥١ هـ) في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)
- والخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ) في كتابه (السراج المنير في الإعانة علي معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير) .

## القرن الحادي عشر الهجري:

من أشهر علماء الإعجاز في هذا القرن:

- السلكتوي الهندي البنجابي (ت ١٠٦٧هـ) في حاشيته على تفسير البيضاوي (أسرار التنزيل)

- والشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) في حاشية على تفسير البيضاوي (أسرار التنزيل) .  
**القرن الثاني عشر الهجري:**

من أشهر علماء الإعجاز في هذا القرن:

- أحمد الكواكبي (ت ١١٢٤هـ) في تفسير (التحرير) المنسوب إليه  
- وشمس الدين محمد الضرير (ت ١١٤٩هـ) في كتابه ( تحفة الفقير في بعض ما جاء في التفسير)

- وسليمان بن عمر العجيلي (ت ١٢٠٤هـ) في تفسير (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية) .

**القرن الثالث عشر الهجري:**

وممن تكلموا في الإعجاز في هذا القرن:

- الإمام الشوكاني الصنعاني (ت ١٢٥٠هـ) في تفسيره (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)

- والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره (روح المعاني)

- وأوليا زاد (ت .....هـ) في تفسيره (مفتاح التفاسير)

- وصديق القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧هـ) في مؤلفه (فتح البيان في مقاصد القرآن).

**القرن الرابع عشر و صدر الخامس عشر الهجري:**

اهتم العلماء المعاصرون اهتماماً بالغاً بعلم إعجاز القرآن، وقدموا من خلال مؤلفاتهم ملاحظاتهم ومناقشاتهم وأفكارهم وابتكاراتهم وإضافاتهم ومن أشهرهم ما يلي:

- طنطاوي جوهرى في تفسيره (الجواهر)

- وعمر الملباري في كتيبه (إعجاز القرآن في مسألة اللؤلؤ والمرجان)

- ومحمود الإستنبولي في كتابه (دين الغد معجزات القرآن الكريم في العلم والسياسة والاجتماع)

- ومحمد متولي الشعراوي في كتابه (معجزة القرآن)

- ومحمد جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل)

- ومحمد عبده في كتابه (رسالة التوحيد)

- وعبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد)

- ومحمد رشيد رضا في تفسيره (المنار)

- وعبد الله الدهلوي في كتابه (محكم البيان في إعجاز القرآن)

- ومصطفى الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن)
- وسيد قطب في كتبه (التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) و(في ضلال القرآن)
- ومحمد الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن)
- وأحمد المراغي في تفسيره (تفسير المراغي)
- ود. محمد البوطي في كتابه (من روائع القرآن)
- ود. محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم)
- ود. نعيم الحمصي في كتابه (فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلي عصرنا الحاضر)
- وبنيت الشاطيء في كتابها (الإعجاز البياني في القرآن)
- ومصطفى السباعي في كتابه (مباحث في علوم القرآن)
- ود. مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن)
- ود. فضل عباس في كتابيه (إعجاز القرآن الكريم) و(إعجاز القرآن المجيد)
- ونعمت صدقي في كتابه (معجزة القرآن)
- ومناع القطان في كتابه (مباحث في علوم القرآن)
- ود. علي العماري في كتابه (حول إعجاز القرآن)
- ود. أمير عبد العزيز في كتابه (إعجاز القرآن)
- ود. محمد حسن هيتو في كتابه (المعجزة القرآنية الإعجاز العلمي والغيبى)
- ومحمد علي الصابوني في كتابه (التبيان في علوم القرآن)
- ود. عصام زهد في كتابه (إعجاز القرآن الكريم) ... الخ
- ومن المعاصرين من كتب رسائل ماجستير أو دكتوراه في إعجاز القرآن كالدكتور عبد السلام اللوح ، فرسالته في الماجستير (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) وقد نوقشت سنة ١٩٨٦م في الجامعة الأردنية .

(قلت) وبذلك نلاحظ أن هذا العلم - كبقية العلوم الإسلامية - بقي متوارثاً عبر القرون جيلاً بعد جيل حتى وصلنا، كل يدلي بدلوه، ويكتب بقلمه ما يفيض به غزارة علمه، وسعة أفقه، وحسن إبداعه.

كما نلاحظ أن هذا العصر زخر بالمؤلفين في إعجاز القرآن، وإن كانوا قد بنوا واعتمدوا علي ما كتب من سلف من إخوانهم العلماء، فهم خير خلف لخير سلف.  
 إن العصور الذهبية لإعجاز القرآن ثلاثة: كانت في القرن الرابع والقرن الخامس والقرن المعاصر، والأهمية والأفضلية بينها حسب ترتيبها السابق والله أعلم .